اللغة العربية وآليات توليد ألفاظ الحضارة

Arabic and its Mechanisms that Generate Civilization Lexicon

أ.د. محمد صاري

جامعة سوق أهراس – الجزائر.

ملخص:

تسعى الدراسة إلى رصد طريقة القدماء والمحدثين في عملية نقل ألفاظ الحضارة وتوليدها. فالمصطلح العلمي لدى التراثيين لم يكن إشكالية، بل لم يُشَكِّلْ خصومة بالنسبة إليهم؛ فأعمالهم تثبت أن العرب لم تَجْرِ على طريقة قياسية واحدة في التوليد وتعريب الوافد أو نقله. فقد استثمروا آليات متنوعة كالاشتقاق والتعريب والمجاز والنحت... واجتهدوا بكيفيات مختلفة تتعذر صياغتها في قواعد جامعة مانعة. وقد ساعدهم على المرور بالمشكلة الاصطلاحية دون مشكلة، مكانة اللغة دينيا وسياسيا من جهة، ووضعها من جهة ثانية؛ حيث كانت مُنْتِجَة للمفاهيم ولم تكن مستهلكة فحسب. أما عن التجارب الحديثة لدى المعاصرين فقد تميزت بالقلق والاضطراب، علما أن نضج المصطلحات واستقرارها عملية مرحلية، عادة يخضع فيها المصطلح إلى غربلة تلقائية قد يتعذر تفسيرها أحيانا، فقد يمر بمرحلة خرق وانتهاك، ولكنه مؤقت، وهي حالة صحية في اللغات الطبيعية، يكون في النهاية البقاء فيها للمصطلح الأفضل بعد نضج مفهومه في الأذهان والأعيان.

Arabic and its Mechanisms that Generate Civilization Lexicon

Abstract:

The current study seeks to prove that differences between traditionalists and modernists in terms of transferring as well as generating civilization lexicon exist. Scientific terms have never, as of yet, been a source of discord. They never constituted a conflict for those keen on heritage, either. Therefore, their works are proofs that the Arabs did not follow a single analogical rule while generating and Arabizing borrowings or while transferring them. They rather took full advantage of a slew of mechanisms such as derivation, Arabization, metaphor, coinage, and yet others. Furthermore, they strived in several ways that are hard to formulate in comprehensive rules. A source of immense help to them was the position Arabic occupied religiously and politically on one hand.

On the other hand, Arabic has never been a good consumer. It was rather an excellent producer. As for the experiences of modern scholars, they are mostly characterized by worries and discrepancies. It is worth mentioning that terms maturity as well as stability are a gradual process during which terms are subject to a normal scrutiny, which is not always easy to explain. This process may, at times, witness some temporary breaches and violations, which is quite normal in the case of natural languages, at the end of which no terms remain except those that are good enough after becoming mature concepts within minds and amongst users.

1 - تمهيد

تفيد بعض الدراسات التي اشتغلت بتاريخ اللغة العربية في مهدها الأول، أنه لا يوجد ما يبين بوضوح البدايات الأولى لطفولتها، فتاريخها تاريخ غامض، وليس بين أيدي الباحثين آثار أو نصوص عربية كافية تبين بوضوح مراحل النشأة والتطور قبل الإسلام. ففجأة وجد العلماء أنفسهم أمام لغة فصحى ناضجة ومكتملة الهيكل والأطراف تمثلت في المعلقات، التي تناقلتها الألسن زمنا ليس بالقصير حتى وصلت إلى عصر التدوين. ولا يرى العلماء نواة تبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء.[1] لقد أفرزت البيئة الحضرية والبدوية لهجات عربية متباينة ومتفاوتة من حيث الفصاحة والسلامة، بعضها اشتهر بأنه أفصح من بعض، وبقدر بُعد القبيلة عن التخوم، ومدى توغلها في البوادي (بوادي نجد وتهامة والحجاز) يحكم على نقاء اللغة وصفائها. وبوجه عام فـ " إن الذين عنهم نُقلت اللغة العربية، وبهم أُقتدي، وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد ثم هذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"[2]، وعلة ذلك ما تعرضت له اللهجات الأخرى من تأثر وتغيير بحكم الجوار والاحتكاك، وهو عند التأمل اختيار منهجي قام على وصف أمين لواقع العربية في المناطق التي لاحظ العلماء أن أهلها يستعملون في كلامهم السجل الذي اعتبرته الجماعة اللغوية السائدة سجلا ممثلا للغتها الرسمية. وهذا الاختيار تبرره المبادئ التي أعلن عنها " سوسير" لاحقا، فقد أكد على أولوية المنطوق على المكتوب، وأولوية الدراسة الآنية على الدراسة التاريخية.[3]

ومن الحقائق المقررة أن اللغة العربية المشتركة التي تواصلت بها القبائل العربية في المناسبات الدينية والاجتماعية، والمجالس الأدبية، والأسواق التجارية؛ كأسواق عكاظ وذي المجاز ومرّ الظهران ، تطورت في رحاب القرآن الكريم، فكان النواة التي تأسست عليه الحياة العلمية العربية، وليس من شك أن التراث اللغوي الذي أسسه القدماء بدافع العقيدة الدينية نفيس غاية النفاسة، وأن الجهد الذي بذلوه خلال الأزمنة المتعاقبة لترقية اللغة العربية متنا ومكانة لم يهيأ لكثير من العلوم القديمة والحديثة؛ حيث قاموا بتحريات ميدانية واسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة في تاريخ العلوم اللغوية القديمة. وقد شارك في التأسيس والبناء علماء من شتى التخصصات؛ منهم اللغوي والنحوي والبلاغي والمحدِّث والفقيه والمفسر والأصولي... فـ " استنبطوا من مجاري كلام العرب الفصحاء الذين لم تفسد سلائقهم قوانين لتلك الملكة مطّردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويُلحقون الأشباه منها

بالأشباه"[4]. هذا هو القياس الذي وسعَّ اللغة، وولَّد ألفاظها، وفجَّر دلالاتها، وأمَّن تفاعلها مع غيرها من اللغات، وحمى تأثرها واقتراضها.

وتأتي هذه الدراسة بهدف الكشف عن آليات اللغة العربية ومرونتها في احتواء الثقافات قديما وحديثا، والمشكلات التي تواجهها في عملية النقل والتوليد؛ فكيف استطاعت العربية أن تستوعب الذخيرة العلمية الأجنبية التي أنتجها التمازج والتثاقف مع الفرس والروم واليونان والهنود والأحباش...؟ وماذا صنعت أمام السيل الجارف من المفاهيم والمصطلحات؟ وكيف تم احتواء ذلك كله بمرونة ودقة ومهارة؟ وكيف نستفيد من تجربة القدماء في مواجهة ما أنتجته الحضارة الغربية الحديثة نقلا وترجمة وتعريبا واقتراضا؟ وهل تعد إشكالية المصطلح العلمي حالة صحية أم مرضية في اللغات الطبيعية؟...

2 - نمو اللغة العربية وأسبابه:

يشبِّه " فيرث" اللغات الطبيعية بالشجرة التي تورق وتتساقط أوراقها باستمرار، فهي كالكائنات الحية، يسري عليها بعض ما يسري على الإنسان والحيوان والنبات؛ من احتكاك وتنازع وصراع على البقاء وسعي وراء الهيمنة...، فاللغات تولد وتنمو وتتطور وتتغير وتشيخ وتهرم، وقد يقصر عمرها فيدركها الموت[5] لتحل محلها لغات أخرى كما حدث للغة اللاتينية التي حلَّت محلها اللغات الإيطالية والفرنسية والإسبانية. واللغة العربية كغيرها من اللغات البشرية،لم تكن لتخرج عن هذه القاعدة لولا القرآن الكريم الذي صيَّر، طوعاً، استعمالها والاعتناء بها والإقبال على تفهمها من شعائر الإسلام، فهجرت الأمم لغاتهم، وصار اللسان العربي لسانهم.[6] وبانتشارها في البلاد المفتوحة (مصر والعراق والشام وفارس والهند...) توسع شيئا فشيئا عدد الناطقين بها، واكتسبت أضعافا مضاعفة من الألفاظ والاستعمالات الجديدة التي لم يعهدها العرب في بيئاتهم ومخاطباتهم.[7] ومن أبرز الأسباب اللغوية وغير اللغوية التي أدت إلى نموها وثرائها وتضخم رصيدها إيجابا وسلبا، بالإضافة إلى الحاجة وكثرة الاستعمال، ما يلي:

1 – التحول: ويتمثل في الهزة العظيمة التي أحدثها القرآن الكريم في النفوس والقيم، وما حام حوله من دراسات، وما انبثق عنه من علوم دينية ووضعية، فقد كان مفتاحا لنشأة العلوم المختلفة، وعاملا أكبر في نضجها وسرعة اكتمالها، ومنبعا لثروة لغوية هائلة بما أدخله من معاني جديدة لكلمات كثيرة لم يكن للعرب الأولين بها علم، كمؤمن ومسلم وصلاة وزكاة وركوع وسجود وسجين وسلسبيل وسجل...إلخ.[8] فقد كان الإسلام والفتح سببا في حراك علمي خلف وراءه ثبتا اصطلاحيا متنوعا في المجال الديني واللغوي والاجتماعي والعلمي والفلسفي...إلخ. قال

ابن فارس: " كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله، جل ثناؤه، بالإسلام حالت أحوال ونُسخت ديانات، وأُبطلت أمور، ونُقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أُخر، بزيادات زيدت وشرائع شُرعت وشرائط شُرطت، فعفي الآخر الأول".[9]

2 – توطين الألفاظ والمعاني: أدى التمازج والتثاقف بين البيئة العربية والبيئات المفتوحة إلى تغذية اللغة العربية بكلمات لم تكن تعرفها، فقد تم، وبطريقة عفوية وتلقائية، توطين الألفاظ والمعاني الجديدة عن طريق الإعارة، حيث استعانوا بآليات متنوعة في عملية الغربلة والتنقيح المستمر، فأصبحت تلك الألفاظ والمعاني بعد حين من صميم اللغة العربية، وبالعودة إلى الكتابات المتنوعة القديمة والحديثة نعثر على ألفاظ كثيرة نحو: البرنامج، والديوان، والصهريج، والقانون، والأسطول، والبند، والروزنامة، والنيروز، والسجل، والسجنجل، والزنجبيل..."إلخ.

3 – الاختلاف بين القبائل العربية التي جُمعت منها اللغة. ويلاحظ هذا الخلاف على جميع المستويات اللغوية؛ الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ومن ذلك مثلا: الاختلاف في الحركات والهمز والتليين وإبدال الحروف والتقديم والتأخير والحذف والإثبات والإمالة والتفخيم والاختلاس والإدغام والجمع والتذكير والتأنيث والإعراب والدلالة...إلخ كقولهم (البُخل والبَخل، والقُرح والقَرح، ونِستعين ونَستعين، وأولئك وألالك، ومستهزؤون ومستهزون، وصاعقة وصاقعة، وصقر بالصاد والسين والزاي، ورَغْوة ورُغوة، واستحْيَيْت واستَحَيْت، ويأمُرُكم ويأمُرْكم، ومهتدون ومهدُّون، وأسرى وأسارى، وهذا البقر وهذا النخيل وهذه البقر وهذه النخيل، وما زيد قائماً وما زيد قائمٌ، وإن هذين وإن هذان، وثَبْ بمعنى اقعد وثبْ بمعنى اقفز...إلخ)[10] وللإشارة فإن كل هذه الاستعمالات تعد لغة في كلام العرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم.

4 – التغير الدلالي: وهو ظاهرة شائعة في كل اللغات، ويعني التغير الذي يطرأ على المعنى الوضعي للفظة نتيجة تعميم الدلالة أو تخصيصها أو إعلاء الدلالة ورقيها أو انحطاطها.[11] تحدث هذه الظاهرة اللغوية تلقائيا ولا دخل للتخطيط اللغوي في ذلك. أما عن أسبابها فقد تكون لغوية أو نفسية أو حضارية أو تاريخية أو الحاجة وكثرة الاستعمال...، وعلى سبيل المثال نشير إلى لفظة "رسول" التي ارتقت دلاليا من معنى الشخص الذي يُرسل للقيام بمهمة ما، إلى معنى الذي نزل عليه الوحي وكُلِّف بالتبليغ. وكذلك لفظة "الحاجب" فقد انحطت دلالتها من منصب وزير أو ما يشبهه إلى معنى البواب. وفي اللغة العربية حشد هائل من الألفاظ التي نُقلت من معانيها الأصلية

إلى دلالات معاصرة، نذكر منها: الهاتف والقطار والإمام والأديب والفنان والسيارة والقنبلة والذرة والدبابة والمدرسة...إلخ.[12]

5 - يضاف إلى هذه الأسباب مجتمعة سبب أساس يتمثل في تحويل الثقافة العربية من ثقافة لسانية شفهية إلى ثقافة كتابية تحريرية.

هذه أبرز الأسباب التي أسهمت بنسب متفاوتة في التنمية والتطور اللغوي، علما أن نواحي التطور اللغوي قد ترجع أحيانا إلى عوامل جبرية ليس في قدرة الأفراد وقف آثارها، أو تجميد اللغة على وضع خاص.

3 – تجربة السلف في التوليد والنقل:

أدى الاحتكاك والتفاعل بين العرب والأعاجم بعد الإسلام إلى ظهور بيئة اجتماعية جديدة، ومحيط فكري خصب، جعل العقل العربي يرتقي بالتدريج من مستوى البداوة إلى مستوى الحضارة. فقد واجه القدماء الثقافات الوافدة كما يواجه العرب اليوم الحضارة الحديثة،[13] ومن دون شك أنهم وجدوا إشكالا كبيرا في نقل سيل جارف من ألفاظ الحضارة. ولا نتصور مقدار الجهود التي بُذلت من أجل ترويض المفاهيم الجديدة واحتوائها، ولكن الواقع يثبت أن اللغة العربية تمكنت بمرونة ومهارة من تجاوز هذه التجربة، حيث استطاع العرب، وفي مدة زمنية قياسية، أن يعبروا عن أدق نظريات أرسطو، ونظريات الهيئة لبطليموس، وطب جالينوس، وحكم بزرجمهر، وسياسة كسرى...إلخ.

لم يجر العرب على طريقة واحدة في توليد الألفاظ وتعريب الوافد أو نقله، بل يظهر من خلال الآليات التي استعملوها أنهم تصرفوا بكيفيات مختلفة ليس من السهل صياغتها في قواعد ثابتة. فالقدماء حين يُدخلون لفظا أعجميا في لغتهم يُحدثون فيه غالبا التغيير الذي يجعله مجانسا لألفاظهم، جاريا على قواعدهم، منسجما مع نظامهم، وقلما يشذون عن ذلك. قال الجواليقي في باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي: " إن العرب كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية فيغيرونها بالإبدال، قالوا: "إسماعيل وأصله اشمائيل فأبدلوا لقرب المخرج (...) وقد يبدلون مع البعد من المخرج، وقد ينقلونها إلى أبنيتهم ويزيدون وينقصون"[14]. وقال أيضا: " والإبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم، وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب، وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن، وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه فقالوا: سراويل وإسماعيل وأصلها

شراويل واشمائيل وذلك لقرب السين من الشين في الهمس ... ومما تركوه على حاله فلم يغيروه خُراسان".[15] يوحي هذا الكلام بمجموعة من الأفكار التي تبين إلى حد ما طريقة القدماء في الاقتباس والنقل أبرزها:

أ – أن العرب لم تجر على طريقة واحدة، فالنص يشير إلى غياب القاعدة التي يمكن تعميمها على جميع النماذج المتشابهة. وإليك قائمة من الألفاظ التي توحي أو تضمر هذه الفكرة: الكوز، الأبريق، الطست، الخوان، الطبق، الخز، الديباج، السندس، السميذ، الكعك، الفلفل، القرفة، الزنجبيل، القيطون، البطريق، القراميد (أي الآجر)...إلخ.

ب – أن عملية النقل والاقتراض شارك فيها المتخصص وغير المتخصص (كما يحدث عندنا اليوم)، ونجاحها بحسب طبيعة الناقل، ومدى المعرفة اللغوية التي يتوفر عليها، ولكن مكانة اللغة والخصوبة التي تتمتع بها آنذاك أخفت ، في اعتقادنا، كثيرا من الخرق والانتهاك للقواعد، وهي ظاهرة جبرية، وحالة صحية لابد من المرور بها أحيانا.

ج – أن أبرز مستوى يظهر فيه التأثر والتأثير بين اللغات هو الناحية المتعلقة بالمفردات، فعلى هذا المستوى تنشط حركة الإقراض والاقتراض، أما المستوى التركيبي فنادرا جدا ما يتأثر، وإذا تغير استحالت اللغة شيئا آخر كما حدث للعاميات.[16]

د – أن معظم المفردات التي انتقلت إلى العربية هي فارسية أو يونانية، وجلها يتصل بنواح مادية أو فكرية امتاز بها الفرس واليونان،كأسماء الألبسة والأطعمة والنبات والحيوان والإدارة...إلخ.[17]

هـ – أن الكلمات المنقولة تهذب وتنقح صوتيا، وتصاغ بالشكل الذي يتفق وينسجم مع نظام اللغة المنقول إليها، هذه قاعدة عامة تنطبق على كل اللغات، وكمثال على ذلك نذكر بعض الألفاظ التي دخلت المعجم الإنجليزي والفرنسي من العربية: (Cadi بمعنى قاض) و (Cifer بمعنى الصفر) و (Algebra بمعنى الجبر) و (Alkali بمعنى القلي) و (Vizier بمعنى وزير) و(Koubba بمعنى قُبَّة)...إلخ. رغم وجود ما يقابلها في اللغة الإنجليزية.

و – كلام الجواليقي يوحي أن المصطلح المنقول قد ينشأ ناضجا منذ الوهلة الأولى، وقد ينشأ قلقا، فيخضع لغربلة تلقائية قبل أن يصل إلى الاستقرار، ومما يبين ذلك النماذج الآتية: " إيساغوجي" و" قطاغورياس" و "باري أرمنياس" فقد خضعت الكلمة الأولى إلى تهذيب، فتدرجت من إيساغوجي إلى الأسماء المفردة ثم المدخل، وقاطاقورياس هي الأخرى تحولت إلى كتاب

الأسماء المفردة ثم استقرت على لفظة العبارة، وكذا باري أرمنياس تُرجمت إلى الأسماء المجموعة إلى غيرها ثم المقولات.[18]

هذا ونشير إلى أن العرب إذا أدخلوا كلمة أعجمية في لغتهم أخضعوها، بصورة عامة لمقاييس العربية، فتُثَّنى وتُجمع ويشتق منها وتتوارد عليها علامات الإعراب وتعرَّف وتضاف ويضاف إليها، ونادرا ما يتركونها كما هي، وأكثر ما بقي على وزنه وأصله من الألفاظ هو من الأعلام كـ " سجستان" و " خراسان" ...إلخ.

3 – 1 – آليات التوسع اللغوي وأنواعه:

أشرنا فيما سبق إلى عدم وجود طريقة قالَبِيَة، لدى القدماء، تُصلكُّ من خلالها ألفاظ الحضارة مما أدى إلى صعوبة كبيرة في نقل الذخيرة العلمية الأجنبية، ومع ذلك بل رغم ذلك، تمكنت اللغة العربية من الخروج سالمة غانمة بفضل مرونتها وما تتوفر عليه من آليات لغوية حية في التوليد والاقتباس لعل أبرزها الوسائل الآتية: القياس والاشتقاق والتعريب والنحت والمجاز.[19]

3 – 1 – 1 – القياس:

يعد القياس القلب النابض للغة إلى جانب السماع، وهو كما يعرفه الأصوليون: "حمل فرع على أصل لعلة جامعة بينهما، وإعطاء المقيس حكم المقيس عليه في الإعراب أو البناء أو التصريف"، أو هو " حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه".[20] للقياس دور بارز في توسيع اللغة وتنمية رصيدها. فنحن ولا غيرنالم نسمع ، كما يقول ابن جني، كل كلام العرب منها لفظا، وإنما سمعنا بعضا فقسنا عليه نظيره، فلم نسمع جميع المواضي، والمضارعات، وأسماء الفاعلين، والمفعولين، والمصادر، وأسماء الأزمنة، والأمكنة، والجموع، والتكابير، والتصاغير.[21] فالعرب لم تنطق بكلمات مثل: موَّيت ميما (أي كتبت ميما) ولوَّيت لاءً، وكوَّفت كافا، ودوَّلت دالا، وزوَّيت زايا، ورَقْمَن، وتَمحْور، وتمفصل...ولكن اللغويين قاسوه على كلام العرب، وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم.[22] إن القياس أداة إجرائية تجبر النقص في اللغة وتولد من الشيء أشياء، ولولاه لعمَّت الفوضى في التخاطب، ولما تعلم أحد منا لغة المنشأ. هذا هو القياس الذي استعمله القدماء والمحدثون في مهارة لتعويض النقص في المدونة اللغوية المثالية (الافتراضية)، يبدو ذلك بوضوح من خلال القرارات التي سنها المجمع اللغوي بالقاهرة كجعله المصدر الصناعي مثل الجاهلية والرهبانية والإنسانية والمثالية والغائية والشخصية، والمصادر الدالة على الحرفة كنجارة وحدادة، والمصادر الدالة على التقلب والاضطراب كالغليان والخفقان وكذا الدالة على المرض كالسعال والزكام... مصادر قياسية.[23]

3 – 1 – 2 – الاشتقاق:

الاشتقاق كما ورد في كتاب التعريفات هو: " نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة"، وهو قسمان: الصغير أو الأصغر والكبير أو الأكبر. بينه وبين التصريف نسب قريب واتصال شديد، كما يقول ابن جني، وهو أقعد في اللغة من التصريف.[24] ولإدراك قيمته كمصدر من المصادر المهمة في التوليد والتوسيع يمكن حمله على الجامد، فعكس الاشتقاق الجمود، و" الجامد من الأسماء ما لم يؤخذ من غيره، فلا تقوم علاقة لفظية بينه وبين غيره من حيث حروفه الأصلية. [أما] المشتق الذي ينتمي إلى أصل اشتقاقي يجمع بينه وبين عدد من الألفاظ يشترك معه في حروفه الأصلية، ويقترب نوع اقتراب من معناه [هكذا وردت]، ولكن يختلف عنه في الصيغة الصرفية، فإذا نظرنا إلى ألفاظ مثل رجل وماء وتراب وشجر وزمان... إلخ وجدناها منقطعة الرحم اللفظية"[25] والعكس صحيح، فلو أخذنا لفظة "الضرب" الذي هو المصدر وجدنا لها صلة بألفاظ أخرى فتشتق منها الماضي فتقول "ضَرَبَ"، ثم تشتق منها المضارع فتقول "يَضْرِبُ"، ثم تقول في اسم الفاعل "ضَارِب"[26]. يتبين مما سبق أن الاشتقاق طاقة خلاقة في التوليد والتنمية اللغوية، وهو من أبرز الخصائص التي تميز اللغة العربية مقارنة بغيرها.

3 – 1 – 3 - التعريب:

التعريب آلية من آليات نمو اللغة وتوسيعها. تضمن المصطلح في الكتابات القديمة والحديثة دلالات متباينة، فقد ورد في القاموس المحيط أن لفظة تعريب تعني: " تهذيب المنطق من اللحن"، وفي لسان العرب فإن التعريب يخص الكلمة الأعجمية أي التي صيَّرها الاستعمال عربية، فتتفوه بها العرب على مناهجها.[27] وعلى العموم فإن التعريب اللفظي عملية صرفية قياسية، ويعني عند بعضهم اللفظ الأجنبي الذي أدخلته العرب في لغتها وصقلته منهاجا وأوزانا، أو تركته بغير صقل، وربما تناولته بالاشتقاق.[28] وتأتي الكلمة المعربة كما هي أحيانا أو بتغيير طفيف في النطق. وفي اللغة العربية تُعرف الكلمة المعربة من خلال فقدان الصلة بينها وبين غيرها من الألفاظ، فإذا نظرنا إلى حروفها وعدنا إلى أصلها لم نجد لها أصلا،[29] ومن ذلك مثلا: تلفاز (Télévision) و سينما (Cinéma) و بكتريا (Bactéri) والبرنامج والفولاذ والمهرجان والكاغد والأستاذ والمهندز وديناميكي وديداكتيك...إلخ. وتجدر الإشارة أن المعرب في اللغة العربية ظاهرة صحية لا مرضية بشرط أن يكون نادرا ولا يطغى على مفردات المعجم العربي. فهو ظاهرة شائعة في كل اللغات، يتسرب إليها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال تفاعل بعضها ببعض.

3 – 1 – 4 – النحت:

النحت هو آلية من آليات إنتاج الألفاظ وتوسيع اللغة، وطاقة حية مولّدة لاسيما في اللغات الهندوأوربية وبخاصة الألمانية، عادة يقوم على تركيب كلمة من كلمتين أو أكثر. فهو اختزال واختصار في الكلمات والعبارات وإن لم يخضع لطريقة معينة، أو نظام خاص، أو قاعدة قياسية. وللإشارة فإن وجوده في اللغة العربية قليل مقارنة بوسائل التوليد الأخرى رغم استعمال القدماء له، فقد وظفوا هذه الوسيلة في توليد ألفاظ جديدة فقالوا: "صَهْصَلَق" من (صهل وصلق)، و "الفذلكة" من (فذلك كذا وكذا)، و" بسمل" من (بسم الله الرحمن الرحيم)، و " حوقل" من (لا حول ولا قوة إلا بالله)، و " حسبل" من (حسبي الله) و "مشكن" من (ما شاء الله كان) و" دمعز" من (أدام الله عزك) و "إمَّعة" من (إني معك)...، ونظرا لأهميته في نقل ما جد في العصر الحاضر من المعارف دعا بعضهم إلى التوسع فيه لجعل اللغة أكثر مرونة. وفعلا بدأ ينمو يوما بعد يوم فصرنا نسمع أو نقول: قَرْوَسْطِي نسبة إلى القرون الوسطى، ومُجتمعي، وآفروآسيوي، والجيوسياسي، والسوسيو لساني، وبورسعيد، واللاوعي، واللامنهج، واللامركزية، والأنا، واللاأدرية بمعنى لا أدري...إلخ.[30]

3 – 1 – 5 – المجاز:

اللغة حقيقة ومجاز، فالحقيقة هي:" اللفظ المفرد الدال على معناه الذي وُضع له في الأصل"، أما المجاز فهو: " الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة عدم إرادة المعنى الحقيقي".[31] ويبدو أن المجاز في التخاطب والتواصل أكثر من الحقيقة، فقد ورد على ألسنة الناس قولهم: تجميد الأرصدة، وتعويم الدينار، وتفريغ ما في جعبته من أفكار، وتحطيم الشخصية، وحبك موت...إلخ. ومن ذلك أيضا الظواهر اللغوية المتنوعة التي توجد في اللغات: كالترادف والاشتراك والتضاد، فيمكن للفظين أن يُستعملا لمعنى واحد فيكون أحدهما مستعملا على سبيل الحقيقة والآخر على سبيل المجاز كما نستعمل الأسد للحيوان المفترس والرجل الشجاع، وكذا البحر (لوصف الكريم) والشمس والقمر (لوصف جمال المرأة) والنجوم (لوصف الرفعة والسمو) إضافة إلى معانيها الوضعية...إلخ. لأن اللغة في الوضع شيء وفي الاستعمال شيء آخر، فقد يتعدد معنى اللفظ الواحد بسبب ظروف الاستعمال لا بسبب أصل الوضع، ومن ذلك لفظة "عقيدة"، الأصل فيها أنها تشير إلى الشيء الثمين يعقد عليه الإنسان منديله لكي لا يضيع، أو الخيط الذي يعقده الإنسان حول الخنصر يُذَكِّره بأمر مهم حتى لا ينساه. وكذلك لفظة "الشرع" وتعني في الأصل الاتجاه في الشرعة وهو

مورد الماء، والطريق المؤدي إليها، تسمى المشرَع ثم توسع اللفظ للدلالة على القانون الذي ينظم حياة الناس. ولما كانت الألفاظ متناهية والمعاني ممتدة إلى غير نهاية لجأ المتكلمون إلى التوسع في استعمال اللفظ عن طريق المجاز للتعبير عن أغراضهم، وقد يطول العهد بالمجاز ويشتهر على الألسنة، ويلصق باللفظ ويصبح دالا على المعنى مثل الحقيقة أي كالمعنى الأصلي أو أكثر، ويلقى قبولا بل استحسانا لدى المتخاطبين.[32] والسؤال الذي يطرح هاهنا لماذا يلجأ المتخاطبون إلى الخروج عن أصل الوضع إلى المجاز؟ ما الدافع إلى استعمال "المفازة" للمهلكة والفوز، و"اللَّديغ" للسليم والمصاب، و " البصير" للأعمى وحاد البصر، و" السدفة" للظلمة والضوء، و " الناهل" للعطشان والروي، و" الأبيض" للأسود وضده، والحرية والقافلة والإمام والسيارة والهاتف والقطار والقنبلة والدبابة والشاحنة والحافلة...؟ مما سبق يتبين أن المجاز باب من أبواب التوسع في المعاني، وطاقة مولدة للمدلولات، وأسلوب فعَّال في التنمية اللغوية، فظروف الاستعمال تدفع إلى اللجوء إليه واستعماله بدون قصد أحيانا أو بأهداف منها: الحاجة، والحاجة مولدة للوسيلة، أو التطور الاجتماعي الثقافي، أو الظواهر النفسية والاجتماعية كالتفاؤل والتشاؤم والتوقير والاحترام والتأدب، أو الجمالية كالانحراف اللغوي والمبالغة ونحوها. فتخصيص الدلالة أو تضييق المعنى، وانتقالها، ورقيها أو انحطاطها، والتحول نحو الدلالات المضادة كلها تعد ضربا من المجاز.

4 – نقد تجربة المحدثين في النقل والتوليد:

لا يحتاج الباحث المتخصص في الترجمة وعلم المصطلح، أو الدارس الممارس للكتابة العلمية إلى بحوث ميدانية وإحصاءات لكي يكشف مدى حجم المشكلة الاصطلاحية في اللغة العربية، وما تواجهه من صعوبات أمام اتساع المعرفة، وغزارة الرصيد الاصطلاحي المستحدث، وتسارع إنتاجه في مجتمع اقتصاد المعرفة. ومَنْ ينظر في النشاط المصطلحي يلاحظ أن العمل فيه يسير في اتجاهين:[33]

– **أحدهما:** فردي يتمثل في ما يُنجزه بعض المتخصصين الأكاديميين في مختلف فنون المعرفة؛ اشتقاقاً وتعريباً ونحتاً وترجمة، ناهيك عن الهواة وغير المتخصصين، ولا يخفى الفرق الواضح بين البحث الجماعي المؤسس والعمل الفردي الذي يتفاوت فيه المترجمون من حيث العلم بأسرار العربية، والتمكن من المادة المترجمة، والتحكم في اللغتين المنقول منها وإليها. ومن أبرز التجارب الفردية نذكر على سبيل المثال المنهجية التي اتبعها عبد القادر الفاسي الفهري في توليد المصطلح اللساني، والأسس التي أقام عليها معجمه الجديد[34]:

- استعمال المجاز نحو الأفعال الجسور (bridge verbs) والقاعدة الباترة (chopping rule).

- استعمال الاشتقاق كفِعَالَة وفَعَالَة للدلالة على الصناعة نحو (صِوَاتة phonology وصِرَافة morphology).

- تخصيص جمع المصدر الصناعي لفروع أخرى من الصناعة خصوصا ما ختم بلاصقة (emics) كصرفيات (Morphèmes) وصوتيات (Phonémiques).

- تخصيص ما خُتم بياء وتاء لترجمة (eme) دلالة على الوحدة نحو (معجمية-Lexème) و(صرفية- Morphème).

- استعمال صيغة فُعالية للدلالة على معوِّقات الملكات اللغوية نحو (كُتَابية Agraphie وقرائية Alexia).

- استعمال النحت بشكل قليل نحو (بَدْصَوْتة أَيْ بديلة صوتية- Allophone وبَدْصرفة أي بدائل صرفية Allomorphes).

- استعمال المعرّب حين يُستعصى إيجاد مقابل عربي مقنع نحو(أكوستيات Acoustiques).

- استعمال التعريب الجزئي نحو(ميتالغوية Métalangage، وسوسيولسانيات Sociolinguistique).

- إجازة النسبة إلى الجمع أو المثنى نحو (شفتاني- Bilabial و جانباني- Bilatéral).

- اعتبار الفرع أصلاً للاشتقاق في بعض الصيغ نحو (سَلْسَلي- Concatenative نسبة إلى سَلْسَلَة ومَوْضَعَة- Lopicalization مصدر مَوْضَع يُموضع).

- الابتعاد عن استعمال المصطلح التراثي في مقابل المصطلح الحديث.[35]

والسؤال الذي يُطرح بعد عرض منهجية الفهري في توليد المصطلح: أين مصطلح كُتابية وبَدْصوتة وبَدْصرفة وبَدْنغمة وأكوستيات وميتالغوية وسوسيولسانيات وشفتاني وجانباني وسلسلة ومَوْضعة...من التداول في الكتابة اللسانية العربية الحديثة؟ الظاهر أن شيوعها نادر جداً إن لم نقل معدوماً! وكيف يدعو الفاسي الفهري إلى الابتعاد عن استعمال المصطلح التراثي في مقابل المصطلح الأجنبي، بل ويخالف التوصيات التي خرجت بها ندوة الرباط ومنها " الدعوة إلى استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل أو استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث"؟[36] أيهما أفضل منهجيات فردية متعددة أم منهجية جماعية

موحدة!! لقد وقع الفهري في بعض الأخطاء التي حذَّر منها في كتاباته حول منهجية ترجمة المصطلح اللساني، إذ لاحظت بعض الدراسات[37] التي تعاملت مع معجمه اللساني الجديد، طُغيان المفاهيم التوليدية وهيمنتها على المشروع بنسبة تسعين بالمائة على مجمل مصطلحات المعجم.

– **وثانيهما**: جماعي اضطلعت به مؤسسات علمية غايتها رصد المصطلحات المستحدثة واختيار أنسبها لفظاً ومعنى. وقد تأكد لبعض الباحثين أن جميع المجامع العربية تتبع منهجيات علمية رصينة متقاربة، تأخذ بآخر ما توصل إليه علم المصطلح، والمشكلات التي تواجه المصطلح العلمي العربي ناتجة في الواقع عن عوامل لا علاقة لها بالمنهجية المتبعة في التوليد من قبل المجامع والمؤسسات الأكاديمية. إن المجمعيين على وعي بالمشكلات الملقاة على عاتقهم، والمشكلات المطروحة اللغوية والتنظيمية متعددة الأبعاد تتعلق بـ: الازدواجية بين الفصحى والعامية، وتعدد اللهجات الفصيحة، وثراء العربية بالمترادفات، وازدواجية المصطلح والترادف والاشتراك اللفظي في لغة المصدر، وتعدد واضعي المصطلحات في الوطن العربي، وتعدد مصادر الترجمة؛[38] ففي حين يترجم المغاربة مباشرة من اللغة الفرنسية عموما، يترجم المشارقة من اللغة الإنجليزية مما أدى إلى تعدد في المقابل العربي، ومن ذلك على سبيل المثال كلمة (Organisms) ترجمت إلى "المتعضيات" عند المشارقة، ومجموعة الأعضاء عند المغاربة، وكلمة (Nutrition) "الاستمراء" عند المشارقة و"التغذية" عند المغاربة، وكلمة (Oxidation) " الإصداء" عند المشارقة و "أكسدة أو تأكسد" عند المغاربة، وكلمة (Degeneration) وتعني " الاستحالة" عند المشارقة و "الانحلال" عند المغاربة...إلخ.

وعلى الرغم من الجهود العظيمة التي تبذلها هذه المؤسسات في إعداد المصطلح وتقييسه وتوحيده، وعلى رأسها مجمع القاهرة واتحاد المجامع العربية ومكتب تنسيق التعريب، فإن تحرك اللغة العربية في هذا الميدان شأنه شأن ميادين ثقافية وعلمية أخرى اتّسم بالبطء الذي لا يتيح مواكبة الركب ومسايرة الجهود العالمية في تطوير المعجم العربي كما يقول فاسي الفهري. فهناك قلة قليلة من المصطلحات التي أُقِرَّت ثم كُتب لها الرواج والاستحسان، ولكن المجامع اللغوية مؤسسات علمية وليست سُلط سياسية أو عسكرية تفرض ما تقرره بالقوة. ثم إن الذي يتحكم في شيوع المصطلح وانتشاره في اللغة المنقول إليها هو التداول والاستعمال؛ فما استحسنه الذوق استقرّ وانتشر، وما استهجنه تلاشى واندثر، والدليل على ذلك القرار السياسي الفرنسي القاضي بمنع استخدام الكلمات الوافدة من الإنجليزية، فإنه لم يصمد أمام

الاستعمال والتداول.[39] أما عن منهجية السبل المؤدية إلى التطويع ووضع نظام التَقْييس والتوحيد، فهناك إطار شبه مشترك إن لم نقل مشتركا، ومبادئ أساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها، تحتكم إليه المجامع والمؤسسات العلمية منها[40]:

- الاتجاه إلى التعريب عند تعذّر إيجاد المقابل العربي الدقيق.

- أن يعبّر المصطلح عن المفهوم بشكل واضح ومباشر.

- أن نضع في الاعتبار البناء الصوتي والصرفي للغة المنقول إليها المصطلح.

- أن يكون المصطلح قابلاً للاشتقاق ما أمكن ذلك.

- أن نتجنب الاشتراك والترادف المصطلحي قدر الإمكان.

- أن تكون دلالة المصطلح واضحة حتى وإن كان خارج السياق.

- تفضيل استخدام كلمة واحدة في وضع المصطلحات، فكلمة "حديدة" تقابلها بالفرنسية (Un morceau de fer) وكلمة مَشَى تقابلها (il a marche).

- أن يكون المصطلح قصيراً ما أمكن ذلك دون إخلال بالمعنى[41] ... والقائمة تطول.[42]

هذا، وقد أشارت بعض البحوث إلى معايير أخرى داخل اللغة ذاتها تمثّلت في الشيوع والانتشار ومبدأ الاقتصاد والمواءمة والإنتاجية. ويقضي مبدأ الشيوع باختيار المصطلح الشائع المتواتر في عدد لا بأس به من المراجع، فهو الأَوْلى بالاستخدام لأنه أكثر شيوعاً. ويتطلّب مبدأ الاقتصاد أن يكون المصطلح قصيراً ومعبراً، علماً أنه ليس من السهل اجتماع المعياريْن. أما مبدأ المواءمة فيقضي بأن يتطابق المصطلح مع المفهوم المقصود لفظاً ومعنىً وبشكل مباشر. وأما مبدأ الإنتاجية فيفرض على المصطلح المولّد أن يكون قابلاً لأن يُشتقّ منه صيغ مصطلحية أخرى ، إضافة إلى يسر التداول.[43]

رغم الوعي الواضح لدى بعضهم بالأبعاد النظرية والمنهجية للمشكلة اللغوية. فإن أزمة المصطلح مازالت قائمة، والشكوى متواصلة بدليل ما يُكتب في البحوث، ويُلقى في الندوات والمؤتمرات. ومن أبرز ما خلُصت إليه الدراسات التي قدّمت توصيفاً للمشكلة المصطلحية[44]: غياب المنهجية الشاملة والتخطيط اللغوي في التعامل مع العدد الضخم من المصطلحات الأجنبية التي يتعيّن نقلها إلى العربية، والانفصام الواضح بين جدل الوعي التنظيري والإجراء التطبيقي[45]؛ كاستخدام المصطلح الواحد لأكثر من مدلول والعكس استخدام مدلولات متعددة لمفهوم واحد، وتباين

مصادر الترجمة، وعفوية المنهجيات المقترحة لضبط الاصطلاح ومَعْيرته، وإسقاط المصطلح التراثي على المصطلح الأجنبي، وغياب الحدود والتعريفات الدقيقة الواضحة أحياناً وتعددها..إلخ.

يتبين من خلال وصف المشكلة الاصطلاحية وتوصيف الحلول، أن جُل المشتغلين بالمصطلح يُسلِّمون بفكرة التنسيق، ويوافقون غيرهم من العلماء على عدد من المقاييس التي يُعتمد عليها في عملية الوضع والتوليد، ومع ذلك قلّ من يلجأ إليها من الواضعين، إذ يبقى الاختيار غالباً ذاتياً حدسياً؛ كأن يشعر الباحث أن هذا المصطلح أو ذاك هو المناسب أو الشائع، كيف ذلك؟ و بالنسبة إلى ماذا؟ لا ندري! و مصطلح "اللسانيات" خير دليل على ذلك، ففي ندوة اللسانيات التي انعقدت بتونس، أجمع المؤتمرون وفيهم كبار اللسانيين على استعمال لفظة " لسانيات" ولكن مازلنا نسمع ونقرأ إلى حد الآن: الألسنية وعلم اللغة وعلوم اللسان...،[46] وخلاصة القول: الأزمة وُصفت، والحلول أُقترحت، ولكن المشكلة الاصطلاحية مازالت قائمة، فأين الخلل أمام وجود الإطار شبه المشترك بين المجامع والهيئات والشخصيات العلمية الذين اشتغلوا بالمشكلة الاصطلاحية؟ ألا توجد مبالغة وتضخيم للقضية الاصطلاحية؟ وهل الشكوى من فوضى المصطلح وتعدده إشكالية خاصة باللغة العربية فحسب؟ وما القول في فكرة التوحيد المصطلحي، أليست مرحلية وتلقائية؟

الواقع أن "**المُشْكلُ غيرُ المُشْكلِ**" كما يذهب إلى ذلك " **حمزة المزيني**"، فالمشكلة المصطلحية، في نظره، موضوع قديم متجدد، وطرحه بالشكل الذي هو عليه في الكتابات العربية فيه تضخيم وتهويل، بدليل أن الموضوع لم يكن قضية لا عند القدماء ولا عند الغربيين؛ فالقدماء تعاملوا مع المصطلح الوافد بتلقائية كما تتعامل اللغات الحية الغنية اليوم بعفوية[47]. إن الغربلة أو التغذية الارتجاعية أو التعديل الدلالي المستمر هو الوسيلة التي لا بديل عنها في عملية نضج المصطلح واستقراره، فكلمة " لافتة" وهي من أصل تركي " يافتج" عُرِّبت أولا إلى " يافتة" ثم إلى " لافتة" لأن مدلولها العام هو لفت النظر.[48] وفي هذا السياق يقول عبد السلام المسدي: " فالمصطلح يُبتكر فيوضع ويُبثُّ ثم يُقذف به في حلبة الاستعمال، فإما أن يرُوج فيثبت، وإما أن يكسد فيمَّحي. وقد يُدلى بمصطلحين أو أكثر لمتصور واحد فتتسابق المصطلحات الموضوعة وتتنافس في سوق الرواج، ثم يحكم الاستعمال للأقوى فيستبقيه ويتوارى الأضعف".[49] فأين مصطلح " الحاسبة الإليكترونية" و " العقل الإلكتروني" و " الحاسب الآلي" و"النظَّامة" و"الرَّتابة" و"الذاكور" و"الكومبيوتر" أمام مصطلح "الحاسوب" الذي راج في الاستعمال!! وأين "

الذرائعية"، و" البراغماتية"، و" النفعية"، و" علم التخاطب"، أمام استقرار مصطلح " التداولية"؟ وأين مصطلح " الحبك"، و" التقارن"، و" الالتحام"، و" الترابط المفهومي"، و" التماسك المعنوي"، أمام مصطلح " الانسجام" ؟ وأين " النص الغائب"، و" النص المستضاف"، و" التداخل النصي"، و"النصوص المتداخلة" أمام " التَّناص" الذين انتشر في اللسانيات النصية وتحليل الخطاب ؟ وأين مصطلح المنْظم والمفْهم والصيغم واللفْظم والصرْفم والمنْغم؟ وأين بَدْصرفة وبَدْنغمة وبدسيمة؟ وأين تحفونيمي وفودلالي وتنْقطعي وبيْصماتي؟[50] إنها مصطلحات رفضها التداول فماتت في مهدها.

إن نضج المصطلحات واستقرارها يقتضي نضجا سابقا لها في الأذهان والأعيان. وهو عملية مرحلية، عادة يخضع فيها المصطلح إلى غربلة تلقائية قد يتعذر تفسيرها أحيانا، حيث يمر بمرحلة قلق واضطراب، وخرق وانتهاك؛ ولكنه مؤقت، وهي حالة صحية في اللغات الطبيعية، يكون في النهاية البقاء فيها للأفضل. فالمصطلح المرن هو الذي يفرض نفسه في الاستعمال بعد أن يشيع ويستحسنه المتخاطبون.

وفحوى الحديث عن قلق المصطلح العلمي واضطرابه في التجارب الحديثة لدى المعاصرين أن جميع المجامع العربية والمؤسسات والهيئات العلمية الرسمية تتبع منهجيات علمية رصينة متقاربة، وتعمل بآراء الخبراء، وتأخذ بما جدَّ على صعيد البحث المصطلحي، ولكنها لا تملك سلطة ملزمة، مما يجعل المقابلات التي تنتجها مجرد مولَّدات، قد يُكتب لها القبول والشيوع فتتحول حينئذ إلى مصطلحات وقد لا يُكتب.[51] وبالعودة إلى ما تُنتجه المجامع من ألفاظ الحضارة نلاحظ جرأة علمية ومرونة في استحداث سيل لفظي لم تعهده العربية للتعبير عن الوافد الجديد، وجهود مجمع اللغة العربية بدمشق تبين بوضوح نماذج من الاجتهادات الجريئة في توليد كلمات جديدة في ضوء بعض الصيغ التراثية التي استقروها من كلام العرب، نذكر على سبيل المثال: " نَوَسان" و " رَوَذان" على وزن غليان وهيجان في مقابل العبارة الفرنسية (Mouvement de va et Vien) في الفيزياء، و" الكُثافة" في الكيمياء لما يبقى بعد التكثيف على وزن صبابة للدلالة على بقية الأشياء، و" ممعود" على وزن مفعول للذي يشتكي من ألم في المعدة، ومدموغ للمصاب على دماغه، وراؤوس للرؤوس النووية، وفُعال للدلالة على المرض كسعال وزكام وكساح، ومَفعلة للمكان كملبنة ومشتلة ومزبدة ومبقرة، وبلَّرَ من البلور، ومغنط من المغناطيس، وبستنة من البستان...والقائمة تطول.[52] حقيقة إن "المشكلُ غيرُ المشكلِ" كما يقول "حمزة المزيني"، فالمشكلة ليست مشكلة مجامع كما يدعي نقاد المصطلح الذين تعودوا

التهويل وعدم الاعتدال في النقد، وبالغوا في اللاءات (أي نقد القدماء والمحدثين على أنهم لم يفعلوا كذا، ولم ينتبهوا إلى كذا، وأغفلوا كذا...) وأكثروا من الينبغيات (حيث يفضي بهم البحث إلى ينبغي أن نفعل كذا وكذا...). ثم إن اللغة العربية تملك فرصا متكافئة مع غيرها من اللغات لتوطين المعرفة، فلها ما للغات الحية من الوسائل والآليات اللغوية التي تكفل لها النجاح في مواكبة الجديد، وتحيين رصيدها بألفاظ الحضارة باستمرار، والأشرطة العلمية المتنوعة التي تُبث على قنوات "ناصيونال جيوغرافيك، ورويال سوكرت، والجزيرة الوثائقية...إلخ" تبين بوضوح مرونة العربية وسلاستها. ومن المؤكد أن فاعلية اللغة رهن بفاعلية أهلها، وبمدى البراعة في الأداء، والكفاءة في التعبير، والمرونة في النقل، والجرأة في التوليد. والنجاح في حسم قضايا "المشكلة اللغوية" غالبا رهن بالمواقف والسياسات لا ببنية اللغة ونظامها الداخلي.

5 – اللغة العربية والحاجة إلى تخطيط المتن والمنزلة:

إن واقع الاستعمال يشير إلى أن اللغة العربية مريضة في عقر دارها، رغم أن نصيبها ما انفك يتوسع أمام تعاظم دور اللغات الإمبريالية، ومرضها كبير وأكبر؛ يتعلق الكبير باللهجات واللغات الأجنبية المنافسة، ويتمثل الأكبر في السياسات والمواقف والسلوكات؛ فنحن أمة تبدو بلا مشروع لغوي مقارنة بالأمم المرَوِجة للغاتها. ومشاريعنا غالبا نظرية أو رمزية أو شعبية أو ارتجالية، وتجاربنا اللغوية قصيرة النفس ولا تقاوم مع مرور الزمن، ثم كيف يتحدث بعضهم عن منظومة معرفية في غياب المنظومة الرقمية؟[53] وكيف نتحدث عن المنظومة الرقمية في غياب منظومات أهم في سلسلة الأولويات كالغذاء والصحة والسكن؟! وكيف نتحدث عن المنظومات الأهم في غياب المنظومة التعليمية والتربوية التي تُعد إكسير الحياة؟! يبدو أنه ضرب من المقامرة السعي لتحقيق كل هذه المنظومات في غياب المنظومة اللغوية، فالفشل النهضوي قد يكون أحيانا فشلا لغويا بالدرجة الأولى.[54]

إن اللغة العربية في حاجة إلى سياسة لغوية ذكية وتخطيط محكم،[55] علما أن السياسة اللغوية هي" مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية". وأما التخطيط اللغوي فيتمثل في " البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية، وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ".[56] فالسياسة اللغوية إذا تدخل إرادي وموجه في واقع اللغة ومستقبلها. والتخطيط جهد منظم ومستمر ومدعوم سياسيا ولسانيا من قبل هيئات قيادية ومؤسسات ثقافية وعلمية ومالية. وللإشارة فإن تاريخ اللغة العربية التراثي حافل بنماذج حية من التخطيط اللغوي للعربية على مستوى المتن وعلى مستوى المكانة؛ ويتعلق الأول ببنية اللغة

الداخلية، فيهتم بالمعيرة والتقييس، ووضع القواعد، وتنمية الرصيد المعجمي، وإبداع خط للغة الشفاهية، أو تطوير الخط المعتمد. أما الثاني فيركز على علاقة اللغة بالمحيط الجيوسياسي، فالمظهران اللساني الداخلي(تخطيط المتن) والسياسي الخارجي (تخطيط المنزلة) متلازمان. إن التمكين للهجة قريش، وتوحيد المصاحف في مصحف عثمان، وجمع المدونة، وإعداد معاجم الألفاظ والمعاني، واستنباط القواعد، وضبط اللغة بالحركات، وإنشاء بيت الحكمة للترجمة، وصك النقود، وإثبات الخط العربي عليها، وتحديث الكتابة العربية ومعيرتها بعدما كانت خالية من التنقيط والحركات...كل هذه الأعمال وغيرها هي ضرب من ضروب السياسة ومظهر من مظاهر التخطيط الذكي الذي ارتقى باللغة العربية متنا ومنزلة. ومن المؤكد أنها اليوم في حاجة أمس إلى مثل هذه المواقف والسياسات، فهي التي تؤدي إلى التغيير،[57] ووضع اللغة العبيرية والتركية حاليا، ودخول العربية كلغة رسمية في هيئة الأمم المتحدة أمثلة حية عن تاريخ المواقف والسياسات.

مراجع البحث:

1– إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط9، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1995.

- من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1978.

2 - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

3 - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار،ج1، دار الكتاب، بيروت (د. ت).

- المنصف، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ج1، ط1، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة1954.

4- ابن خلدون، المقدمة، ج2، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984.

5 – بن عيسى با طاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2008.

6 - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم، تح مصطفى الشويمي، مؤسسة أبدران للطباعة والنشر، بيروت1964.

7- ابن منظور، لسان العرب،ط1، دار النشر، بيروت (د. ت)، مادة عرب.

8 - تمام حسان، الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب1991.

- الخلاصة النحوية، ط1، عالم الكتب، القاهرة2000.

9- حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، القاهرة1976.

10- حسين الواد، ملامح من البحث اللغوي في تونس في الثلث الأخير من القرن العشرين، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد42، مارس2002.

11- حمزة المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، ط1، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض2004.

12- خالد اليعبودي، آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة، ط1، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، المغرب2006.

13- سعد هادي القحطاني، التعريب ونظرية التخطيط اللغوي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت2002.

14- السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: أحمد محمد قاسم، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة1976.

15- عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ط2، دار المعارف، القاهرة.

16- عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2011.

- قاموس اللسانيات، عربي فرنسي _ فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس1984.

17- عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2013.

- اللسانيات واللغة العربية، ط1، دار توبقال ومنشورات عويدات، بيروت1986.

18- عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط9، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة (د. ت).

19- علي القاسمي، تجربة مكتب تنسيق التعريب في رصد المصطلحات وتوحيدها، مجلة اللسان العربي، العدد62، مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، ديسمبر2008.

20- فلوريان كولماس، دليل السوسيو لسانيات، تر: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت2009.

21- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر: حسن حمزة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت2008.

22 - محمد حلمي هليل، دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي، وقائع ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، ط1، دار الغرب الإسلامي، الرباط1987.

23- محمود أحمد السيد، من جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في وضع المصطلحات، مجلة اللسان العربي، العدد62، مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، ديسمبر2008.

24 - مختار نويوات، اللغة العربية واستيعاب الثقافات، مجلة اللغة العربية، العدد6، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر2002.

25- نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ط1، دار النفائس، بيروت1985.

الإحالات والهوامش:

[1] - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط9، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1995، ص25 _33.

[2] - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، دار الكتاب العربي، ط10، بيروت (د. ت)، ص246.

[3] - حسين الواد، ملامح من البحث اللغوي في تونس في الثلث الأخير من القرن العشرين، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد42، مارس 2002، ص 135.

[4] - ابن خلدون، المقدمة، ج2، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص712 _ 713.

[5] - يَعِد القرن الواحد والعشرون باندثار ما لا يقل عن ثلاثة آلاف لغة بسبب الفجوة الرقمية واقتصاد المعرفة، وقد بين الباحث الروسي ألكسندر كيبريك أن مائة وثلاثين لغة في روسيا قد شقت طريقها نحو الانقراض بما يكاد يكون نهائيا. وأمام هذا الوضع الحتمي الذي ينتظر كثيرا من اللغات سارعت منظمة اليونسكو إلى الإعلان عن اليوم العالمي للغة الأم. انظر عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2011، ص 16.

[6] - ابن خلدون، المقدمة، ص 457.

[7] - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ص 248.

[8] - المرجع نفسه، ص 250 - 251.

[9] - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم، تح مصطفى الشويمي، مؤسسة أبدران للطباعة والنشر، بيروت1964، ص 78.

[10] - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص78

[11] - فريد عوض حيدر، علم الدلالة – دراسة نظرية وتطبيقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1999، ص71 وما بعدها.

[12] - مختار نويوات، اللغة العربية واستيعاب الثقافات، مجلة اللغة العربية، العدد 6، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر2002، ص42.

[13] - هذا ما يؤمن به بعض اللغويين والمؤرخين، والواقع أن المقارنة هاهنا تبدو غير متكافئة، لأن هناك فرقا بين اللغة حينما تكون قوية منتجة وذات مكانة، وبين اللغة عندما تكون ضعيفة مستهلكة ومكانتها مهددة، وبين حضارة تسير بخطى وئيدة وأخرى متسارعة جدا.

[14] - أحمد أمين، ضحى الإسلام،ج1، ص292 – 293

[15] - الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، عن: نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ط1، دار النفائس، بيروت1985، ص79. وانظر، مجلة اللغة العربية، العدد32، المجلس الأعلى للغة العربي، الجزائر2014، ص60.

[16] - عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط9، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة (د. ت)، ص255.

[17] - المرجع نفسه، ص 253.

[18] - عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات عربي فرنسي _ فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس 1984، ص52.

[19] - لمزيد من المعلومات انظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1978.

[20] - – السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: أحمد محمد قاسم، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة1976، ص 94 – 95.

[21] - فالمواضي والمضارعات والتكابير والتصاغير كلها صيغ قياسية سليمة وصحيحة وإن لم تُسمع عن العرب.

[22] - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، دار الكتاب، بيروت (د. ت)، ص 357 – 369.

[23] - – يقع الاشتقاق عند الكوفيين من الفعل وعند البصريين من المصدر في مثل ضارب ومضروب وضراب، ونظرا لحاجة العلم إلى الاشتقاق من أسماء الأعيان وكثرة ذلك في التوليد والنقل كالذهب والفضة والحجر فيقال مُذهَّب ومُفضض واستحجر... فإن مجمع اللغة بالقاهرة أقره. لمزيد من المعلومات انظر: قرارات المجمع في مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة.

[24] - ابن جني، التصريف، ج1، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط1،مطبعة مصطفى البابلي الحلبي،القاهرة1954، ص3– 4.

[25] - تمام حسان، الخلاصة النحوية، ط1، عالم الكتب، القاهرة 2000، ص41.

[26] - ابن جني، المنصف، ص4.

[27] - انظر ابن منظور، لسان العرب، ط1، بيروت (د ت)، مادة عرب. وانظر، محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص93.

[28] - عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ط2، دار المعارف، مصر، ص 230 – 231.

[29] - انظر حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، 1976، ص 79.

[30] - لمزيد من المعلومات حول طاقة العربية في الإنتاج والتوليد انظر، مختار نويوات، اللغة العربية واستيعاب الثقافات، مجلة اللغة العربية، العدد السادس، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر2002.

[31] - بن عيسى با طاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2008، ص243 – 244.

[32] - تمام حسان، الأصول، دار الثقافة، الدار البضاء، المغرب 1991، ص228 – 230.

[33] - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ط1، دار توبقال ومنشورات عويدات، بيروت 1986، ص 391 – 392.

[34] - المرجع السابق، ص393-394.

1 - حاول الفاسي الفهري أن يتحرى لفظا واحدا للمفهوم الواحد لأن الاشتراك اللفظي، في نظره، غير مرغوب فيه في المجال العلمي وإن حقق ربحا على المستوى اللفظي؛ فتوظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة من شأنه كما يقول أن يحدث تداخلا مفهوميا على المصطلحين القديم والجديد، ولكن بالنظر إلى طبيعة اللغة البشرية وما تتميز به من تعبير عن اللامحدود من المعاني بالمحدود من الألفاظ، وكذا بالنظر إلى تنوع السياقات المائزة بين الدلالات المتكافئة يمكن القول: إن فكرة المصطلح الواحد للمفهوم الواحد فكرة نظرية مغرية، لاسيما على مستوى التخصص الواحد، وليس من السهل تطبيقها على اللغات الطبيعية لأنها تختلف عن اللغات الصورية المنطقية.

[36] - قام مكتب تنسيق التعريب في الندوة التي عقدت بالمكتب بالرباط أيام 18 – 20 فيفري 1981بجمع منهجيات وضع المصطلحات الصادرة عن المجامع العربية، وتنسيقها في ورقة عمل ثم عرضها على الندوة التي شاركت فيها المجامع اللغوية والعلمية العربية ووزارة التربية والتعليم وعدد من الجامعات العربية. لمزيد من المعلومات انظر، علي القاسمي، تجربة مكتب تنسيق التعريب في رصد المصطلحات وتوحيدها، مجلة اللسان العربي، العدد62، مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط2008، ص124.

[37] - خالد اليعبودي، آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة، ط1، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، المغرب2006، ص200 (انظر الهامش).

[38] - علي القاسمي، تجربة مكتب تنسيق التعريب في رصد المصطلحات وتوحيدها، مجلة اللسان العربي، العدد62، الرباط، ديسمبر 2008، ص 125 – 126.

[39] - فالمشكلة ليست مشكلة المجامع أو الهيئات والمؤسسات العلمية والأكاديمية لأنها كما أشرنا في المتن لا تملك أية سلطة إلزام فعلية على الجهات التي تستعمل المصطلحات في البلدان العربية. هذا وقد أصدر مكتب تنسيق التعريب تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى حد الآن خمسة وثلاثين معجما في مختلف التخصصات، منها معجم مصطلحات اللسانيات، وبناء على توصيات مؤتمرات التعريب والمجلس العلمي الاستشاري لمكتب تنسيق التعريب أخذ بمراجعة المعاجم وتحيينها، وهو الآن بصدد اتباع كل مصطلح بتعريف واف. انظر، علي القاسمي، تجربة مكتب تنسيق التعريب في رصد المصطلحات وتوحيدها، ص127.

[40] - لمزيد من المعلومات انظر محمد حلمي هليل، دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي، وقائع ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة،ط1، دار الغرب الإسلامي، الرباط1987.

[41] - سعد هادي القحطاني، التعريب ونظرية التخطيط اللغوي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت2002، ص50 – 51.

[42] - علي القاسمي، تجربة مكتب تنسيق التعريب في رصد المصطلحات وتوحيدها، ص123 – 125.

[43] - سعد هادي القحطاني، التعريب ونظرية التخطيط اللغوي، ص57.

[44] - لمزيد من المعلومات حول وصف المشكلة الاصطلاحية انظر:

- أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس1978.

- خالد اليعبودي، آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة.

- محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة- دراسة ومعجم إنجليزي عربي، ط2، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان2003.

[45] - فما يكتبه منظرو المصطلح، وما يمارسه الدارسون عند إعداد المصطلح غالبا ما يكون على طرفي نقيض.

[46] - انظر أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية المنعقدة بتونس أيام 13 – 19 ديسمبر 1978.

[47] - حمزة المزيني، التحيّز اللغوي وقضايا أخرى، ط1، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض2004، ص203- 207.

[48] - محمود أحمد السيد، من جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في وضع المصطلحات، مجلة اللسان العربي، العدد62، مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، ديسمبر 2008، ص 137.

[49] - عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، عربي فرنسي - فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح، ص27.

[50] -محمد حلمي هليل، دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي، وقائع ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، ط1، دار الغرب الإسلامي، الرباط1987، ص319.

[51] - علي القاسمي، تجربة مكتب تنسيق التعريب في رصد المصطلحات وتوحيدها، ص126.

[52] - محمود أحمد السيد، من جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في وضع المصطلحات، ص133 – 137.

[53] - عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ص 21.

[54] - يثبت الواقع أن بعض الدول التي ضحت بلغاتها المحلية واختارت اللغات الأجنبية وفي اعتقادها أن اللغات القوية تختصر الطريق نحو النفاذ إلى المعرفة وهضمها والإبداع فيها بعد مرحلة الاتباع، غير أن هذا الإحلال اللغوي لم يحقق تقدما بل أدى إلى مزيد من الاستقطاب والتخلف. انظر، نبيل علي و نادية حجازي، الفجوة الرقمية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أوت 2005، ص 370.

[55] - لمزيد من المعلومات انظر، عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2013، الفصل السادس.

[56] - لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ط1، تر: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2008، ص 221.

[57] - فلوريان كولماس، دليل السوسيو لسانيات، ط1، تر: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت2009، ص962.